



تطوّر الدلالة التفسيرية عند المفسرين المعاصرين في ظلّ نمو العلوم الطبيعية

المدرس الدكتور ميثم عزيز جبر

كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة / أقسام البصرة

maitham.jabr@iku.edu.iq

الملخص. يهدف البحث إلى بيان ما توصل إليه بعض المفسرين المعاصرين من دلالات جديدة، مستفيدين من معطيات العلم الحديث في تفسير بعض الآيات القرآنية المتعلقة بمحور الآيات الكونية كالسما والارض والرياح والأمطار وكذلك محور الآيات الأنفسية كالإنسان، واعتمدت منهج الوصف والمقارنة بعد تتبع آراء المفسرين المتقدمين منهم والمعاصرين في تلك الآيات، وتوزع البحث على مبحثين: الأول: دلالة اللفظ القرآني، وفيه بيان الدلالات الجديدة لبعض المفردات أو التراكيب التي أظهرت معنىً جديداً، والمبحث الثاني: الوجوه الإعرابية، وفيه بيان الوجه الأقرب واستبعاد الوجوه الأخرى غير المناسبة من خلال الدلالة الجديدة للآية، وقد توصل البحث إلى نتائج أهمها: أنّ اكتشافات العلم الحديث من نظريات وقوانين له الأثر الكبير في توجيه الدلالة التفسيرية؛ لأنّ المفسرين أفادوا من الحقائق اليقينية التي كشفها العلم الحديث، وتوظيفها في كشف الدلالة التفسيرية التي لم يبينها المتقدمون بسبب غموضها آنذاك وغياب النظريات والقوانين العلمية الحديثة وقتئذ. وكذلك بعض الآيات القرآنية تعددت الوجوه في إعرابها بين المفسرين المتقدمين ولم يترجح رأي على آخر، أمّا المفسرون المعاصرون فقد استطاعوا تحديد الوجه الإعرابي الأقرب من خلال معطيات العلم الحديث الذي كشف لنا بعض الظواهر الكونية التي سردها القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: الدلالة التفسيرية، المفسرون المعاصرون، العلوم الطبيعية





Abstract. The research aims to demonstrate the new interpretations reached by some contemporary commentators, benefiting from the data of modern science in interpreting some Qur'anic verses related to the axis of cosmic verses such as the sky, the earth, the winds and the rains, as well as the axis of verses about the self such as man. It adopted the method of description and comparison after following the opinions of the early and contemporary commentators on those verses. The research was divided into two sections: The first: The meaning of the word, in which the new meanings of some words that revealed a new meaning were explained. The second section: The grammatical aspects, in which the closest aspect was explained and other unsuitable aspects were excluded through the new meaning of the verse. The research reached results, the most important of which is: that the discoveries of modern science, in terms of theories and laws, have a great impact on directing the interpretive meaning, because the commentators benefited from the certain facts that modern science revealed, and employed them in revealing the interpretive meaning that was not explained by the early ones due to its ambiguity at that time and the absence of modern scientific theories and laws at that time. Similarly, some verses of the Qur'an have multiple interpretations among the early commentators, and no one interpretation is preferred over another. However, contemporary commentators have been able to determine the closest grammatical interpretation through the data of modern science, which has revealed to us some of the cosmic phenomena that the Holy Qur'an has narrated.

Keywords: Interpretive meaning, contemporary commentators, natural sciences.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين، وبعد. فإنه لا يمكن أن نتوقع من القرآن الكريم أن يُبين مسائل العلوم الطبيعية جميعها وكذلك خواص الأشياء وأسرارها؛ لأنه لم ينزل لبيان تلك الحقائق العلمية بالدرجة الأساس، بل هو كتاب تربية وهداية للناس أجمع، بيد أن بعضاً من الآيات الألهية وأسرار عالم الوجود التي ذُكرت في القرآن الكريم تساعد على معرفة الله تعالى وعظمة الخلق الذي هو من صنعه تعالى؛ للتيقن بعظمة الخالق وكتابه (القرآن الكريم) من أجل





شدَّ الناس للإيمان به وبالرسالة الإسلامية الخاتمة، وهذا هو السرُّ في تجدد القراءة الواعية لهذا الكتاب السماوي، فكثير من الحقائق العلمية التي أشار إليها القرآن الكريم اكتشفها العلم الحديث كانت مذكورة قبل أربعة عشر قرناً، الذي يمثل صورة من صور إعجازه؛ ولذا انصبَّ البحث على كشف تلك الدلالات الجديدة التي أدلى بها المفسرون المعاصرون، التي اختلفت عن الدلالة التفسيرية للمتقدمين، وقد اخترت نماذج أفدَّت من كتب التفسير المعاصرة أمثال نفحات القرآن الكريم للعلامة مكارم الشيرازي، ومفاهيم القرآن للعلامة جعفر السبحاني، ومنية الطالبين للمؤلف نفسه، وتفسير المراغي، ووجدت تلك الدلالات تتوزع بين أمرين: الأول: كشف دلالة جديدة للمفردة القرآنية، والثاني: ترجيح الرأي في بعض الوجوه الاعرابية المحتملة بناءً على المعطيات العلمية الحديثة؛ لذا جعلتُ البحث مؤلفاً من مبحثين، هما: المبحث الأول: دلالة اللفظ القرآني، والمبحث الثاني: ترجيح الوجه الإعرابي بالاستفادة من معطيات العلوم الحديثة، بالإضافة الى التمهيد الذي وضَّحت فيه المصطلحات الغامضة في البحث، وبحسب التفصيل الآتي:

التمهيد:

أولاً: الدلالة التفسيرية: المقصود بها المعاني المترشحة من فهم النصِّ القرآني، التي تتضمن تحليل النصوص باستخدام أدوات لغوية مثل النحو والصرف والمعجم والسياق، واستخلاص معانيها وربطها بالسياق العام؛ لإزالة الغموض عن النصِّ وتقديم فهم أعمق لها.

ثانياً: العلوم الطبيعية الحديثة: وهي "العلوم المختصة بدراسة الظواهر الطبيعية والقوانين التي تحكمها في الكون معتمداً على الملاحظات الجريبية، والقياسات الكميّة، تنقسم العلوم الطبيعية الى العلوم الفيزيائية والحيوية، والفيزيائية تدرس العالم المادي غير الحي، والظواهر الطبيعية التي تحدث في هذا الكون، ولها أربعة مجالات أساسية: علم الفلك والفيزياء والكيمياء وعلم الارض، وأخرى فرعية كعلم الارصاد الجوي وعلم المعادن وغيرها" (عويسيان التميمي، بلا: 461).

ثالثاً: المفسرون المعاصرون: والمقصود بهم ثلّة من علماء المسلمين الذين كتبوا في تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث، أمثال العلامة ناصر مكارم الشيرازي، والعلامة جعفر السبحاني، وأحمد المراغي وغيرهم، وقد تميزت تفاسيرهم في الاعتماد على المنهج العلمي الرصين في الجمع بين التراث التفسيري الكبير للمفسرين المتقدمين و معطيات العلم الحديث، للتوصّل الى قراءة جديدة في فهم النصِّ القرآني و الدلالة القرآنية.





1.1. المبحث الأول: دلالة اللفظ القرآني.

اتسمت المكتبة الاسلامية بثراء التفسير القرآنية، وتعددت بتعدد المنهج المتبع لكل مفسر، وأحياناً بتعدد القراءة لأصحاب المنهج الواحد، وهناك من التفسير من نظر الى الدلالة القرآنية من وجهة نظر علمية، فبعض التفسير المعاصرة أعطت رؤية دلالية جديدة تتفق مع معطيات العلم الحديث، واختلفت في ذلك مع كثير من التفسير المتقدمة التي طرحت رؤية خاصة بها تتفق مع طبيعة العصر الذي عاشه المفسر وقتئذٍ، وقد تميزت التفسير الإمامية المعاصرة بأنها قد جمعت بين التراث والأصالة، والمحافظة على القواعد العلمية المتبعة في تفسير النص، مضافاً الى افادتها من العلوم الحديثة كعلم الفلك وعلم الأرض وعلم الهيئة " و هو علم يبحث عن أحوال الأجرام السماوية من حيث الكمية والكيفية والوضع والحركة اللازمة " (محمد ابن القاضي محمد النهاوني، 1996م: 61/1)، وغيرها من العلوم، وعادة ما يكون محور التفسير فيه هو الآيات الكونية والأنفسية، أي الآيات التي تتكلم عن الكون من الشمس والأرض وغيرها، وكذلك الآيات التي تخص ذات الإنسان نفسه، وفيها من العجائب العلمية والحكم الإلهية ما يذهل عقل اللبيب، والتي أفاد منها المفسرون المعاصرون في كشف الدلالة القرآنية سواء أكان على مستوى المفردة أم التركيب، وقد دَوَّنَتْ بعض تلك الآراء المعاصرة في بعض الآيات القرآنية التي طرحت دلالة لغوية جديدة انطلاقاً من المعطيات العلمية الحديثة، ومنها:

1.1. قوله تعالى: ((فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّما يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ)) (الأنعام 125)، ذكر المفسرون المتقدمون تفسيرات كثيرة لهذه الآية إما مجملة، أو لا تتناسب مع ما وصل اليه العلم الحديث، فقد ذكر الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ((يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّما يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ)) وجوهاً، منها " أنه كُلف أن يصعد الى السماء إذا دُعي الى الاسلام من ضيق صدره، أو كأن قلبه يصعد في السماء بُعداً عن الإسلام، أو كأنه يتكلف مشقة في ارتقاء مرتفع صعوداً، أو كأنه ينزع قلبه الى السماء لشدة المشقة عليه في مفارقة مذهبه (الكفر)" (الطبرسي، 1995م: 4 / 561-562)، وأصل كلمة (يَصْعَدُ) هو (يَتَصَعَّدُ) على وزن يتقَعَلُ، وادغمت التاء بالصاد، وفيه معنى التكلف، فقد شبه الله الكافر في نفوره من الإيمان بمن تكلف ما لا يطيقه، كما أنَّ صعود السماء لا يُطاق (القرطبي، 1964م: 82/7)، وفهم الفخر الرازي من هذا التشبيه منه معنيان، الأول: أنَّ الإنسان إذا كُلف الصعود الى السماء يشقُّ عليه ذلك التكليف، فينفر منه، كذلك الكافر يتقَلُّ عليه الإيمان وتُعظم نفرتة منه، والمعنى الثاني: أنَّ قلب الكافر يتباعد عن الإسلام وينفر منه، فشبه ذلك البُعد ببُعد مَنْ يصعد من الأرض الى السماء (الفخر الرازي، 1420هـ: 142/13، و اسماعيل الخلواتي، بلا: 101/3)، ومجمل ما تقدّم أنَّ



المفسرين المتقدمين يرون التشبيه في قوله تعالى (كأنما يصعد الى السماء) من أجل بيان التكلف في قبول الايمان واعتناقه، كأنما شخص كُلّف يصعد الى السماء لما فيه من مشقة واستحالة، ولكن هذا القول المتقدم لا ينسجم مع الرؤية العلمية الحديثة لعلم الهيئة، وقد يتبادر الى الذهن هذا السؤال: ما العلاقة بين الصعود الى السماء وضيق الصدر ؟ فالمفسرون المتقدمون لم يذكروا جواباً واضحاً لهذا السؤال، فذكر بعضهم بما أنّ الصعود الى السماء أمر عسير أو محال، كذلك تحصيل الإيمان للكافر، فهو أمر عسير، ولكن بالنظر الى أنّ الأعمال الشاقة والعسيرة أو المستحيلة كثيرة على وجه الأرض، فلماذا اختار القرآن الكريم هذا التشبيه، مع أنّ وجه الشبه المذكور لدى المفسرين يبدو بعيداً ومتكلفاً، وبعضهم ذكر: أنّ الله تعالى شبه الكافر في نفوره من الإيمان وثقله عليه بمنزلة من تكلف ما لا يطيقه، كما هو صعود السماء لا يُطاق، ولا يخفى عدم تناسب هذا التفسير مع محتوى الآية.

أما المفسرون المعاصرون فقد ذكروا تفسيراً علمياً لهذه الظاهرة تنسجم مع معطيات العلم الحديث، فقد أثبت العلم اليوم أنّ الهواء يحيط بالكرة الأرضية ويحتوي على الأوكسجين الكافي لتنفس الإنسان، خصوصاً في الأماكن المجاورة لسطح الأرض، وكلّما ابتعدنا عن سطح الأرض يُصبح الهواء أقل كثافة، فيغدو التنفس شاقاً جداً بعد عدة كيلومترات، ويصاب بحالة من الضيق الحاد في التنفس، ما لم يستخدم نقاب الأوكسجين، فواضح من هذه الحقيقة العلمية أنّه توجد علاقة وثيقة بين ضيق النفس والصعود الى السماء، ولكن لم تتبلور هذه المعلومة عند المفسرين، بل أي شخص في العصور المتقدمة، وهذه الحقيقة ذكرها القرآن الكريم بعشرات القرون قبل أن تُكتشف، عندما قال: (يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء)، وهي في الواقع تشبيه المعقول بالمحسوس، فقد شبه الجمود الفكري وتعصب المعاندين في اعتناقهم الإسلام، بضيق التنفس الناتج عن قلة الاوكسجين بالنسبة للشخص الذي يصعد الى السماء (مكارم الشيرازي، 1421هـ: 8/ 133-134)، وهذا ما ذكره المراغي في تفسيره، بقوله: نطق الكتاب الكريم بمسألة لم يفهم سرها البشر، ولم يفقه كنهها إلا بعد قرون، عندما تقدم فن الطيران، فعلم الطيارون بالتجربة صدق ما جاء به الكتاب الكريم، بعدما عُلِمَ اختلاف الضغط الجوي في طبقات الهواء، وأنّ الطبقات العليا أقل كثافة في الهواء من الطبقات التي أسفل منها، وأنّ الإنسان كلما صعد الى طبقة أعلى شعر بالحاجة الى الهواء وبضيق في التنفس نتيجة قلة الاوكسجين الضروري للتنفس واستمرار حياة الانسان، وهذا ما شبهه القرآن، عندما ذكر قوله: (ومن يرد الله أن يضلّه يجعل صدره حرجاً كأنما يصعد في السماء)، فقد شبه من ألّف الباطل والكفر وقد دُعِيَ الى الايمان بضيق النفس





المعنوي، كالشخص الصاعد الى السماء عندما يضيق به التنفس لقلة الهواء (أحمد المراغي، 1946م: 25/8).

1. 2 قوله تعالى: ((وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُغْرَضُونَ)) (الانباء: 32)،

وذكر المفسرون المتقدمون آراءً في تفسير هذه الآية، فذكر الفخر الرازي: أنَّ القرآن سَمَّى السماء بالسقف؛ لأنها للأرض كالسقف للبيت، ووصف بأنَّ السقف محفوظ من الشياطين أو محفوظ من السقوط (الفخر الرازي، 1420هـ: 139/22)، وذكر البقاعي في تفسير هذه الآية: أنَّه لا فرق بينها وبين ما يعهد من السقوف، إلَّا أنَّ ما يعهد لا يسقط منه إلَّا ما يضر، والسماء ليست كذلك، فهي مملوءة بالمنافع، فما ينزل منها ما لا غنى للناس عنه من آيات الضياء وعلامات الاهتداء والزينة التي لا يُقدر قدرها، ولَمَّا كان ما يُعرف من السقوف على صغرها لا تثبت إلَّا بالعمد، في حين أنَّ السماء على سعتها هي سقف محفوظ من السقوط من دون عمد بقدره الله تعالى، وكذلك هي محفوظة من الشياطين بالشَّهْب (البقاعي، 1984م: 415/12)؛ وعدَّ الطبرسي هذه الآية بمثابة التشبيه، فقوله تعالى: ((وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً))، أي رفعنا السماء فوق الأرض والخلق كالسقف، محفوظاً من الشياطين بالشَّهْب التي ترمي بها، كما قال تعالى: ((وَحَفِظْنَاَهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ)) (الحجر: 17)، وقيل محفوظاً من أن تسقط، كما قال تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يُمِيكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)) (فاطر: 41)، وقيل محفوظاً من أن تتعرض لهدم أو بلى طول الدهر (الطبرسي، 1995م: 74/7)، فالسقف هو غطاء البيت المستند على جدرانه، وقد أُطلق السقف على السماء على طريقة التشبيه البليغ، أي جعلنا السماء كالسقف، لأنها ليست موضوعة على عمد من الأرض كما قال تعالى: ((اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)) (الرعد: 2) (ابن عاشور، 1984م: 58/17)؛ وملخص آراء المتقدمين، يرون أنَّ التعبير عن السماء بـ(السقف) هو من باب التشبيه، فمعنى الآية: إِنَّ السماء كالسقف المحفوظ الذي يحول دون حدوث أي خلل في النظام الكوني، فيتبادر من معنى السقف هو المعنى المجازي الذي جاء بصورة التشبيه و الكناية، ووُصف السقف بأنه محفوظ وذكرنا تفسيرات مختلفة منها: أنَّ السقف محفوظ من الشياطين، أو محفوظ من السقوط على الأرض، أو محفوظ من أي خلل كوني، وكل هذه التفسيرات المبهمة ترجع الى عدم اطلاع البشر وقتئذٍ على العلوم الحديثة، أما المفسرون المعاصرون فقد أظهروا دلالة تفسيرية لهذه الآية تختلف عما تقدّم، و تتناسب مع ما توصل اليه العلم الحديث، فذكر العلامة مكارم الشيرازي: "عندما وُجد (علم الهيئة الجديد) أثبت أنَّه لا يوجد سقف أساساً، وأنَّ الكواكب كلّها تسبح في الفضاء اللامتناهي، إلَّا أنَّ العلم البشري لم يزل يواصل تقدمه نحو الأمام، وأصبح مفهوم



الآية واضحاً بعد التوصل الى اكتشاف طبقات الغلاف الجوي وهي طبقة عظيمة للهواء يبلغ سمكها مئات الكيلو مترات تُحيط بالأرض من جميع جهاتها، وهذا الغلاف على جانب كبير من القوة والمقاومة، يقدرها بعض العلماء بمقاومة سقف فولاذي سمكه عشرة أمتار، تحفظ بها الأرض من ألوان المخاطر الكونية، كالشهب المنجذبة نحو الأرض بسرعة كبيرة، فتشكّل خطراً كبيراً لو اصطدمت بالأرض، ولكن بفضل تلك الطبقة من الغلاف الجوي تحمي سكان الأرض من ضررها، وكذلك يحمي هذا الغلاف الأرض من الإشعاعات الكونية المضرة كالأشعة فوق البنفسجية التي تحرق جلد الإنسان إذا وصلت اليه بشكل مباشر، وغيرها من الأشعة التي تضرّ إذا ما وصلت للأرض، ولكن بفضل هذه الطبقة من الغلاف الجوي احتمى الناس من ضررها، فتوصل المفسرون المعاصرون أن المقصود بالسماء هو الغلاف الجوي، وهو سقف يحفظ الكرة الأرضية من كل أنواع الضرر" (مكارم الشيرازي، 1421هـ: 131/8-132)، والرأي نفسه ذهب اليه العلامة السبجاني، فنكر أنّ اسم السماء مشتق من السمو بمعنى العلو والارتفاع، وقد قيل: كلّ ما علاك فأظلك فهو سماء، ويمكن أن تكون الآية ناظرة الى الغلاف الجوي المحيط بالأرض الذي يمتد لمسافة تقدر بـ (1600 كم) فوق سطح الأرض، ولولا هذا الغلاف لسقطت الشهب وهي أجسام صلبة تصل سرعتها الى 40 كم في الثانية، لسقطت على وجه الأرض ولأستحالت الحياة عليها، وكذلك يعمل هذا الغلاف على امتصاص وتشتيت قسم كبير من الأشعة الشمسية القادمة الى الارض، ولولا ذلك لأحرقت كلّ من في الأرض، ولبحّرت الماء، وبهذا يكون الغلاف الجويّ سقفاً حافظاً للأرض (السبجاني، 2016م: 167/18).

3.1 قوله تعالى: ((وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْضِئُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)) (الروم24)، يبين القرآن الكريم أنّ من آيات عجائب خلقه هو ظاهرة (البرق)، وقد تكررت في المضمون نفسه في قوله تعالى: ((هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ)) (الرعد12)، ويرى المفسرون المتقدمون أنّ البرق هو خروج النار من بين السحب، وأمّا كونه آية؛ لأنّه ليس في السحاب إلا ماء وهواء، وخروج النار منها بحيث تحرق الجبال في غاية البعد من حيث التصوّر، وهو من دلائل عجائب خلق الله، وقد فسروا هذه الظاهرة استناداً الى أنّ السحاب فيه كثافة ولطافة، فالهواء ألطف والماء أكثف، فإذا هبّت ريح قوية تخرق السحاب بقوة، فيحدث صوت الرعد ويخرج نار البرق، نتيجة الاصطدام بينهما، كما تحدث عند وقوع حجر على حديد (الفخر الرازي، 1420هـ: 94/25)، وقوله تعالى: (خَوْفًا وَطَمَعًا)، أي تخويفاً وإطماعاً، وله معانٍ عديدة، منها: خوفاً من الصواعق وطمعاً في الغيث، أو خوفاً من أن يضلّ المسافر الطريق وطمعاً



للمقيم في نمو الزرع، أو خوفاً لمن يخاف ضرر المطر، فليس كل بلد ينتفع منه، وطمعاً لمن يرجو الانتفاع به (الطبرسي، 1995م: 434/6)، فجاءتا في محل نصب مفعولاً لأجله (أبو حيان الاندلسي، 2000م: 383/8)، فيرى المتقدمون أن البرق هو نوع من الإحترق يحصل نتيجة الاحتكاك بين الرياح القوية والسحاب، ولكن المعاصرون وجَّهوا النصَّ بدلالة تفسيرية جديدة تتناسب مع معطيات العلم الحديث، فيرى العلامة مكارم الشيرازي، أنه أصبح مسلماً أن حدوث الرعد والبرق نتيجة حصول التفريغ الكهربائي بين سحابتين لهما شحنتان كهربائيتان مختلفتان أحدهما موجبة والأخرى سالبة، مثلاً يحصل عندما يتصل سلكان كهربائيان أحدهما بالآخر، فتتولد شرارة كهربائية يصاحبها صوت وحرارة معاً، كذلك يحدث بين السُحُب، فالبرق هو الشرارة الكهربائية، والرعد هو صوت تلك الشرارة، وقد يحدث هذا التفريغ الكهربائي بين قطع السحاب التي لها شحنات كهربائية موجبة، وبين الأرض التي لها شحنة كهربائية سالبة عادة، فتقذف شرارة نارية الى سطحها، يُطلق عليها اسم (الصاعقة) والتي تسبب حرائق كبيرة في الغابات والمباني وغيرها، وموت الكائنات الحية فيها، ويُعزى ذلك الى الحرارة الكبيرة من تلك الشرارة النارية والتي تصل الى خمسة عشر ألف سانتيكرد، تقريباً ضعف حرارة سطح الشمس، فتحول كل شيء الى رماد ودخان، وهذه المظاهر المرعبة لعالم الطبيعة تمثل أحد جوانب البرق التي ذكرها القرآن الكريم بقوله (خوفاً)، ومضافاً لذلك فتوجد فوائد للبرق ذكرها القرآن الكريم بقوله: (وطمعاً)، منها: نزول الأمطار الغزيرة؛ لأن الحرارة المتولدة من البرق تُسخِّن مساحة واسعة من الهواء المحيط بها، فيقلُّ ضغطه فتفرغ السُحُب ما فيها من أمطار نتيجة قلة الضغط، إضافة الى ذلك فإن الحرارة الشديدة للسُحُب تؤدي الى تركيب قطرات المطر بمقادير أكثر من الاوكسجين، فينتج عنه ماء مؤكسد، الذي له تأثير كبير في القضاء على كثير من المكروبات والآفات النباتية، مضافاً الى ذلك، فإن حامض الكربونيك المتولد من امتزاج قطرات المطر مع كاربونات الجو، عندما ينزل للأرض يتفاعل، فيولد نوع من السماد المفيد لنمو النباتات، بل يُعدُّ من أفضل أنواع السماد (مكارم الشيرازي، 1421هـ: 138/8-139 و المراغي، 1946م: 80/13).

4.1 قوله تعالى: ((أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ () بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ)) (القيامة 3-4)، وقد ذكر المفسرون المتقدمون تفسيراً لهذه الآية، وبالأخص في قوله: (نسوي بنانه) والتي ذُكرَ في تفسيرها آراء منها: أنه نبه بالبنان على بقية الأعضاء، أي قادرين على أن نسوي بنانه بعد صيرورته تراباً كما كان، أي: أن من قدر على الشيء في الإبتداء قادر عليه في الإعادة، وقد خص البنان بالذكر؛ لأنه آخر ما يتم خلقه في الإنسان، وتقديره: نقرر على ضم سلاماته على صغرهما



ودقتها، بعضها الى بعض كما كانت أولاً من غير أي نقص أو تفاوت، فكيف بالعظام الكبار، فنكون أولى بالقدرة على إعادتها كما خلقناها أول مرة، وهذا الرأي ذكره جملة من المفسرين المتقدمين كالزمخشري والفخر الرازي وأبو حيان، وآخرون غيرهم (الفخر الرازي، 1420هـ: 30/ 722 والزمخشري، 1987م: 4/ 659 وأبو حيان الاندلسي، 2000م: 10/ 345 و البقاعي، 1984م: 21/ 88)، ورأي آخر يرى أن الكلام على تقدير : بلى قادرين على أن نسوي بنانه، أي نجعلها مع كفِّه صحيفة مستوية لا شقوق فيها كخف البعير، فيُحرم الأعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وسائر الأعمال اللطيفة التي يُستعان عليها بالأصابع، وهذا الرأي يبدو ضعيفاً وقد استبعده الفخر الرازي، وبالنتيجة، فقد فسّر المتقدمون البنان بأنّه الأصابع أو أطراف الأصابع، وهو اسم جمع (بنانة)، والتسوية هي إعادة خلق البنان مقومة مُتقنة، وقد أختير البنان لأنها أصغر الأعضاء الواقعة في نهاية الجسد، فتسويتها كناية عن تسوية جميع الجسد، لأنّ تسوية أطراف الجسد يقتضي تسوية ما قبلها (ابن عاشور، 1984م: 29/ 341)، ولكن المفسرون المعاصرون ذهبوا في تفسير هذه الآية تفسيراً علمياً جديداً يتناسب مع اكتشافات العلم الحديث، فذكر العلامة مكارم الشيرازي: أنّ من الأمور المهمة التي تم اكتشافها هو (بصمة الأصابع) التي تكشف هوية الشخص عن طريقة رؤوس الأصابع، وهي أدق أنواع التوثيق التي لا يمكن تزويرها، فلكل شخص علامة (بصمة) خاصّة به لا تنطبق مع مليارات من الناس الآخرين، وهذا من عظيم خلق الله تعالى وعجائبه، فيكون مفهوم الآية بناءً على هذا التفسير: إنّنا لسنا قادرين على أن نجعل العظام الكبيرة والصغيرة فحسب، بل في مقدورنا أيضاً أن نعيد الأصابع وبصماتها بكل خصوصياتها، فمفهوم تسوية البنان الذي يحمل معنى التنظيم والترتيب شامل لجميع خصوصياته ومنها بصمات الأصابع (مكارم الشيرازي، 1421هـ: 8/ 141-142)، والرأي نفسه ذهب إليه العلامة جعفر السبحاني، فذكر: أنّ تسوية البنان عبارة عن تصويرها على ما هي عليه من الصور والخطوط، والمعنى المقصود في الآية: نحن نجعل العظام مضافاً الى تصوير بنانه على الصورة التي كانت عليها في أول الخلق، وقد أثبت العلم الحديث أنّ كلّ إنسان تختلف بصمات أطراف أصابعه عن الإنسان الآخر، ولا يوجد شخصان تتساوى بصمة أصابعهما حتى التوأم؛ ولذلك ظهر الترقى في قوله تعالى: (بلى قادرين على أن نسوي بنانه)، فالله تعالى قادر على جمع العظام، بل قادر على الأعظم منه، وهو تسوية البنان بما فيها من الصور والخصوصية، ولا يخفى ما لبنان الإنسان من دور كبير في القبض والبسط والأخذ والردّ، وكذلك إنجاز الأعمال الدقيقة والصناعات الظرفية، والكتابة وطلب العلم (السبحاني، 2016م: 19/ 138)،



فنستطيع أن نقول أنه محور التطور الإنساني المعاصر؛ لذا ذكره القرآن كآية من آياته وبيان قدرته عز وجل.

2. المبحث الثاني: ترجيح الوجه الإعرابي بالاستفادة من معطيات العلوم الحديثة.

بعض الآيات القرآنية تعددت فيها الوجوه الإعرابية؛ بسبب التقدير والحذف أحياناً أو بسبب غموض الدلالة في الجملة في بعض المفردات؛ مما أدى إلى لجوء بعض المفسرين إلى ذكر وجوه متعددة للمحل الإعرابي، أو بناءً على الجمع بين الآراء المتعددة للمعربين والمفسرين، ولكن بعد تطور العلوم الحديثة انكشفت دلالة كثير من ألفاظ القرآن الكريم وتركيبه، وبالتالي أصبح بالإمكان ترجيح أحد الوجوه الإعرابية المحتملة من بين تلك الوجوه المتعددة، بناءً على معطيات علمية يقينية، أذهبت بالاحتمال والظن، وكان للمفسرين المعاصرين دوراً كبيراً في طرح هذا الرأي، جمعت نصوصاً من أهم تلك التفاسير، ومنها الآيات الآتية:

1.2 قوله تعالى: ((اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ)) (الرعد 2)، وقد وردت قريباً عن هذا المضمون في سورة لقمان أيضاً، وقد ذكر المفسرون وجوهاً في تفسير هذه الآية، وبالأخص في كلمة (ترونها) فقد ذكر المفسرون لها وجوهاً إعرابية متعددة، منها:

أ- أنه كلام مستأنف، وتقدير الكلام: وأنتم ترونها مرفوعة بلا عماد (الفخر الرازي، 1420هـ: 18/525)، وهذا الوجه بعيد؛ لأنه يلزم التقدير؛ أي تقدير محذوف، والأصل في الكلام أن نحمله على ظاهره إلا بقريئة، ولا توجد قريئة.

ب- الضمير في (ترونها) عائد على السماوات، أي صفة للسماوات، أي: ترون السماوات خالية عن عمدٍ (ابو حيان الاندلسي، 2000م: 6/344)، والجملة فيها تقديم وتأخير، وتقدير الكلام: "رفع السماوات ترونها بغير عمدٍ" (الفخر الرازي، 1420هـ: 18/525) وهذا الرأي أيضاً ضعيف؛ لأن هذا التقدير من التقديم والتأخير هو خلاف الظاهر، والضمير في (ترونها) يرجع إلى الأقرب (العمد) وليس السماوات التي هي أبعد.

ج- أن كلمة (ترونها) صفة لـ (العمد)، والضمير في (ترونها) عائد على (عمد)، و(عمد) جمع: عمود (ابو حيان الاندلسي، 2000م: 6/344)، والكلام على تقدير: "رفع السماوات بغير عمدٍ مرئية"، فالسماوات عمد ولكن لا نراها (الفخر الرازي، 1420هـ: 18/525).



وقد فسّر بعضهم الرأي الأخير (بغير عمدٍ مرئية) بأنّ تلك العمدة هو جبل من زبرجد محيط بالدنيا ولكن لا يراه الناس، وهو رأيٌ ضعيف جداً لا يستند الى دليل علمي أو دليل روائي صحيح، وفسّر بعضهم السماوات بالكواكب السيّارة وطبقات الجوّ التي تسبح فيها (ابن عاشور، 1984م: 80/13)، وذهب الفخر الرازي الى تفسير تلك العمدة غير المرئية التي رفعت السماء في الجوّ، فسّرها بقدرة الله تعالى، ومثله ابو حيان في تفسيره البحر المحيط (ابو حيان الاندلسي، 2000م: 344/6).

وحاصل ما تقدّم فقد توزّعت آراء المفسرين الى رأيين: الأول: يرى أنّ السماء مرفوعة بغير عمد، والثاني: أنّ السماء مرفوعة بعمدٍ ولكنّها غير مرئية، وقد رجّح الطبرسيّ الرأي الأول، ورجّح الفخر الرازي وابو حيان الرأي الثاني القائل أنّ السماء مرفوعة بعمدٍ غير مرئية، ولكن لم يجدوا تفسيراً لتلك العمدة غير المرئية غير قدرة الله، فقالوا: أنّ العمدة غير المرئية هي قدرة الله تعالى، أمّا المتأخرون من المفسرين فيذهبون الى الرأي الثاني، وكان بعضهم اعتمد على نصّ المعصوم، فقد ذكر السيد الطباطبائي رواية عن الإمام الرضا عليه السلام عندما سأله السائل: أخبرني عن قول الله تعالى: (رفع السماوات بغير عمدٍ ترونها) ؟ فقال: سبحان الله أليس يقول: (بغير عمدٍ ترونها)؟ فقلت بلى.. فقال: فثمّ عمدٍ ولكن لا ترونها (الطباطبائي، 1973م: 213/16)، ولكن من المفسرين المعاصرين ما اعتمد في بيانه على التفسير العلمي، فقد ذكر العلامة جعفر السبحاني: أنّ رفع السماوات دون الاستعانة بعمدٍ مرئية هو دليل على عظمة الخالق تبارك وتعالى وانتظام الكون ولولاه لأنهارت أركان العالم، وهذا النظام الدقيق تتقاسمه قوة الجاذبية وقوة الطرد المركزي، وبسبب هذا التعادل القائم بينهما انتظمت حركة النجوم والكواكب في مساراتها، فلو دارت تلك الكواكب اعتماداً على قوة الجذب فقط لارتطمت بعضها ببعض، ولكن في ظلّ قانون الطرد المركزي الناشئ عن الحركة والدوران يحصل التعادل المطلوب ليبقى الكوكب في مساره دون أي تغيير، وكذلك لو لم تكن قوة الجذب لأقلّنت الكواكب في الفضاء (السبحاني، 2016م: 14 / 173). أنّ الكتاب الكريم صاغ الحقيقة المكتشفة من قبل (نيوتن) بعبارة يسهل فهمها من عامّة الناس (بغير عمدٍ ترونها)، وهذه الآيات يذكرها القرآن الكريم للتذكير بعظمة الخالق المُمسك بتلك السماوات المرتفعة بغير عماد، وكونه سبحانه هو المُمسك لا يمنع من وجود علل طبيعية حافظة لسقوط السماوات وزوالها، وقد جرت سنّته سبحانه على تدبير العالم والخلق من خلال العلل الطبيعية (السبحاني، 2016م: 14 / 174)، والتفسير العلمي المتقدم نفسه ذكره العلامة مكارم الشيرازي، فذكر: أنّ كلمة (ترونها) تعود على (العمد) وتقدير الكلام: " بعمدٍ غير مرئية "، وأنّ هذا العمدة غير المرئي يُفسّر اليوم بالتعادل بين القوة الجاذبة والدافعة، فالتساوي بين القوة الجاذبة مع القوة الدافعة من



دون أي نقیصة أو زیادة، سیظهر فی هذه الحالة العمد اللامرئی القوی حتی یتثبتها فی موضعها الخاص، كالأرض التي تتحرك حول الشمس بمدار معین ملايين السنین من دون أن تقترب منها أو تبعد عنها، والجاذبية بین الجسمین یتناسب طردياً مع وزنیهما، وعكسياً مع الجذر التربيعي للمسافة بینها (مكارم الشيرازي، 1421هـ: 106/8-107) وهذه من دلائل عظمة الله فی خلقه، وقد وقف المتقدمون على هذه النکة إجمالاً، إلا أنهم لم یعبروا عنها إلا بالقدرة الألهيّة، والیوم بفضل تطوّر العلوم اتضحت تلك النکة نقصیلاً بأنّ العمد غیر المرئی الذي یرفع السماوات هو التعادل بین القوة الجاذبة والقوة الطاردة التي تتبّه لها المفسرون المعاصرون.

2.2 قوله تعالى: ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدُقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنًا يَرْفَهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ)) (النور 43)، ومعنى: يُزْجِي، أي: يُحْرَكُ، وقد استعمل القرآن الكريم هذه الكلمة في موضعين، الأول: في حركة السفن على أثر هبوب الرياح، والموضع الثاني: وهو محلّ البحث في حركة السحاب بسبب تحريك الهواء لها، وكلمة (يؤلف) بمعنى: يجمع، أي يجمع تلك السحب بعضها الى بعض، حتى تصبح (ركاماً) أي بعضها فوق بعض، فتري (الودق) يخرج من خلاله، أي قطرات المطر، أو البرق يخرج من بين هذه السحب المتراكمة، ويُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ (البرَد) وهي قطرات المطر المنجمدة (مكارم الشيرازي، 1421 هـ: 135/8)، وذكر الفخر الرازي أنّ الله تعالى هو الذي يُزْجِي السحاب؛ لأنه هو الذي خلق تلك الأبخرة المتحركة من باطن الارض الى جوّ الهواء، فإذا ترادفت في صعودها والتصق بعضها ببعض لتكوّن ركاماً، وهو من دلائل القدرة والحكمة الإلهيتين (الفخر الرازي، 1420هـ: 405/24).

وذكر الزمخشري أنّ " (من) الاولى للابتداء، وأختلف في الثانية والثالثة، فإنما أن تكون الثانية للتبعيض والثالثة للتبيين، والتقدير (بعض الجبال من برَد)، ومفعول الفعل (يُنَزِّلُ) هو (من جبال)، و(من) برَد) صفة للجبال، كما نقول: هذا خاتم من فضة، وإنما أن تكون (من) الثانية للابتداء أيضاً والثالثة للتبعيض، والتقدير: (يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ من الجبال بعض البرَد) فيكون مفعول الفعل (يُنَزِّلُ) هو (من برد) أي (بعض البرد)" (الزمخشري، 1987م: 246/3)، وآخرون ذهبوا مذهباً قريباً عن الرأي الثاني للزمخشري، ولكن قالوا (من) الثانية للابتداء والثالثة زائدة، وتقديره: (يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ من جبال برَدًا) فيكون متعلق الفعل (يُنَزِّلُ) أيضاً (من برد)، وذكر أبو حيان أنّ الزمخشري اختار أن تكون (من) الأولى والثانية للابتداء والثالثة للتبعيض، ومعناه: أنّه يُنَزِّلُ البرَدَ من السماء من جبال فيها، فيكون (من جبال)



بدلاً من السماء (ابو حيان الاندلسي، 2000م: 58/8)، وذكر الفخر الرازي قولاً لبعض المفسرين مفاده: أن المقصود بالسماء هو الغيم المرتفع على رؤوس الناس، وقد أنزل الله تعالى منه البَرَدَ، والمقصود بقوله: (من جبال) السحاب العظام؛ لأنها أشبهت الجبال، فهذا الوصف للتوسع في التعبير من باب الكناية والتشبيه، كما نقول: "جبل من مال"، والبَرَد هو الماء الجامد خلقه الله في السحاب، ثم أنزله الى الأرض، ولا يُرَجَّح هذا الرأي؛ لأنه مبنيٌّ على المجاز في جعل السماء اسم للسحاب، والأصل حمل الألفاظ على ظاهرها اللغوي (الفخر الرازي، 1420هـ: 405/24).

ومن المفسرين المعاصرين العلامة مكارم الشيرازي ذكر أن القرآن الكريم قد خاطب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (ألم تر)، مع أن تلك الأمور المذكورة في الآية لا يمكن لهم في ذاك الوقت رؤيتها! ولكن يمكن اليوم رؤية بعضها بمساعدة الطائرة في وقتنا الحاضر؛ لذا ذهب المفسرون الى تفسير قوله تعالى: (ألم تر)، بمعنى: "ألم تعلم"، فالرؤية هنا بمعنى العلم (مكارم الشيرازي، 1421هـ: 137/8)، والنكتة التي بُحِثت عند المفسرين كلمة (من جبال) وهو في اللغة بمعنى تجمع الشيء مصحوباً بالارتفاع، ومن هذا المعنى نعرف أن الجبل لا يُطلق على جبال الحصى والرمال فقط، بل كل مرتفع متراكم وله ارتفاع، وهذا التصوير هو للسحاب عندما يجتمع ويتراكم بعضه فوق بعض فيصبح كالجبل، ولم يدرك المفسرون المتقدمون تلك الحقيقة في وقتهم آنذاك، وكان المفسرون اذا وصلوا الى تفسير هذه الآية يشيرون الى قدرة الله تعالى فقط، دون أن يفسروها تفسيرها علمياً، كما ذكرنا النص للفخر الرازي، ولكن اتضح هذا المعنى واصبح جلياً بعد التقدم العلمي و صعود الإنسان على الطائرة في ارتفاع فوق مستوى السُحُب، فيرى تلك السُحُب وكأنها جبال ذات ارتفاعات متفاوتة، وكأنها جبال بينها وديان ذات مرتفعات ومنخفضات متفاوتة، وأمّا (البَرَد) فقد بيّن العلماء المعاصرون كيفية نشوئه، فعندما تتفصل قطرات المطر عن السحاب، وتضطرم بالمناطق العليا الباردة للجو تتجمد بسرعة، ولكونها صغيرة جداً، فتذفها التيارات الهوائية الشديدة الى الأعلى فتستقر فيها، وتتجمد مرة ثانية عندما تتفصل عن السحاب، وعندما يتكرر هذا الأمر يصبح حجم (البَرَد) كبيراً، فلا تقوى التيارات الهوائية على دفعه للأعلى، أو عندما تهدأ تلك التيارات الهوائية، فينزل ذلك البَرَد الى الأرض، وقد يكون كبيراً أحياناً، فيلحق ضرراً بالمزارع والبساتين، وعلى هذا التفسير العلمي، نُعَدُّ السُحُب الجبلية منبعاً مهماً لتكوين بَرَدٍ كبير الحجم الى أن تظهر الرياح شديدة، فتذفها وسط السُحُب، ثم الى الأرض (مكارم الشيرازي، 1421هـ: 135/8-136).



وأما الوجوه الإعرابية المتقدمة فقد فسّر بعض المتقدمين السماء بأنها هي السُحُب، وهذا ما ثُبِتَ بطلانه في العلم الحديث، وأما (من) الثانية والثالثة المُختلف فيهما، فقد اتضح معناهما بعد التقدم العلمي، فلا يمكن أن تكون (من) الثانية للتبعيض، بل هي للابتداء أيضاً، وبالتالي لا تكون (من) الثالثة للتبيين، فإما أن تكون للتبعيض أو زائدة، وهذا ما ذكره العلامة مكارم الشيرازي بقوله:

والمسألة المهمة في هذا البحث هو ما ذكر من وجوه إعرابية في قوله تعالى: (مِنْ بَرْدٍ)، فقد ذُكر وجهان، هما: الأول: إن شبه الجملة من الجار والمجرور في (من برد) متعلق بالفعل (يُنْزَلُ)، وهي في حكم المفعول، فيصبح معنى الآية: إِنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ قُطْعَ الثَّلْجِ مِنْ جِبَالٍ فِي السَّمَاءِ، وَالثَّانِي: إِنَّ الْجَارَ وَالْمَجْرُورَ مُتَعَلِّقٌ بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ يَقَعُ صِفَةً لـ(جبال)، فيصبح معنى الآية: " إِنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ بَرْدًا مِنْ جِبَالِ الثَّلْجِ الَّتِي فِي السَّمَاءِ"، وعلى الرأي الأخير: يكون مفعول (يُنْزَلُ) محذوفاً، ويُعرف من السياق، وكلا التفسيرين يوضح الإعجاز العلمي للقرآن؛ لأنَّ رأياً تضمن ذكر جبال من الثلج، والرأي الآخر تضمن جبال السُحُب، وكلاهما لم يكن معروفاً في زمانه آنذاك (مكارم الشيرازي، 1421هـ: 8/ هامش 137).

النتائج:

- 1- أفاد المفسرون المعاصرون من معطيات العلم الحديث وتوظيفه في كشف الدلالة التفسيرية التي لم يتوصل إليها المتقدمون بسبب غموضها آنذاك وغياب النظريات والقوانين العلمية الحديثة.
- 2- فسّر المتقدمون قوله تعالى: (رفع السماوات بغير عمد ترونها) بتفسيرين: الأول: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفَعَ السَّمَاوَاتِ مِنْ دُونِ عَمْدٍ؛ لِبَيَانِ قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ اللَّامْتَنَاهِيَةِ، وَالثَّانِي: أَنَّ اللَّهَ رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِعَمْدٍ وَلَكِنْ غَيْرِ مَرْتِيَّةٍ، وَفَسَّرُوا ذَلِكَ بِالْقُدْرَةِ الْأَلَهِيَّةِ، أَيْ: أَنَّ تِلْكَ الْعَمْدَ غَيْرُ الْمَرْتِيَّةِ هِيَ قُدْرَةُ اللَّهِ تَعَالَى، أَمَّا الْمَفْسُورُونَ الْمَعَاوِرُونَ فَقَدْ فَسَّرُوا الْآيَةَ بِمَا يَنْسَجِمُ مَعَ قَوَانِينِ الْحَيَاةِ الْقَائِمَةِ عَلَى الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبَّبَاتِ، فَيُرُونَ أَنَّ الْعَمْدَ غَيْرَ الْمَرْتِيَّةِ هِيَ التَّعَادُلُ بَيْنَ الْقُوَّةِ الْجاذِبَةِ وَالطَّارِدَةِ بِسَبَبِ الْحَرَكَةِ الدَّوْرَانِيَّةِ لِلْكَوَاكِبِ وَالنَّجُومِ وَالْمَجَرَّاتِ الَّتِي عَبَّرَ عَنْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِالسَّمَاوَاتِ.
- 3- أصبح بالإمكان ترجيح أحد الوجوه الإعرابية على نظيراتها؛ بسبب انكشاف الحقائق بفضل تطور العلوم التجريبية والقوانين الطبيعية، ومنه كلمة (ترونها) في قوله تعالى: (الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها)، فقد ظهرت وجوه إعرابية متعددة لدى المفسرين المتقدمين، منها: أنها نعتٌ للسماوات، ومنها: أنها نعتٌ لـ(عمد)، ومنها: أنها جملة استثنائية، ولكن المعاصرون استطاعوا الجزم بالوجه الإعرابي بفضل العلم الحديث، فقالوا: أَنَّ الْوَجْهَ الرَّاجِحَ هُوَ أَنَّ تَكُونُ كَلِمَةُ (ترونها) نِعْتًا لـ(عمد) ليستقيم التفسير مع معطيات العلم الحديث.





4- شَبَّهَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الْإِنْسَانَ الضَّالَّ الْمَعَانِدَ الَّذِي لَا يَتَقَبَّلُ دُخُولَ الْإِيمَانِ إِلَى قَلْبِهِ كَالَّذِي يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ فَيُضِيقُ صَدْرَهُ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ حَرَجًا كَأَنَّما يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ)، وَقَدْ فَسَّرَ الْمُتَقَدِّمُونَ وَجْهَ الشَّبْهِ بِالتَّكَلُّفِ وَالِاسْتِحَالَةِ، فَكَمَا أَنَّ الَّذِي يَرُومُ الصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ هُوَ أَمْرٌ مُتَّكَلِّفٌ وَشَاقٌّ وَمُسْتَحِيلٌ عَادَةً، فَكَذَلِكَ الْكَافِرُ عِنْدَمَا يُدْعَى إِلَى الْإِيمَانِ، يَكُونُ قَبُولُهُ أَمْرًا صَعَبًا وَبَعِيدًا لِلْغَايَةِ كَبْعَدِ السَّمَاءِ عَنِ الْأَرْضِ، وَلَكِنْ هَذَا التَّفْسِيرُ لَمْ يَقْبَلْهُ الْمَعَاصِرُونَ لِعَدَمِ التَّنَاسُبِ بَيْنَهُمَا، وَغِيَابِ الرَّابِطَةِ بَيْنَهُمَا، وَعَاطَمُوا مَعْطِيَّاتِ الْعِلْمِ الْحَدِيثِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ، فَأَصْبَحَ الْيَوْمَ وَاضِحًا أَنَّ الْإِنْسَانَ كُلَّمَا صَعَدَ إِلَى الْأَعْلَى ضَاقَ التَّنَفُّسُ عِنْدَهُ بِسَبَبِ قِلَّةِ الْأُوكْسِجِينِ الْكَافِي لِلتَّنَفُّسِ، حَتَّى يَصْبِحَ حَرَجًا، كَذَلِكَ الْكَافِرُ الْمَعَانِدُ عِنْدَمَا يُدْعَى لِقَبُولِ دَعْوَةِ الْإِيمَانِ يَضِيقُ صَدْرُهُ وَيَصْبِحُ حَرَجًا عَنْ تَقَبُّلِ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ.

5- يَرَى الْمَفْسُورُونَ الْمُتَقَدِّمُونَ أَنَّ الْآيَةَ: (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا) فِيهَا تَشْبِيهُ، فَالسَّمَاءُ هِيَ سَقْفٌ لِلْأَرْضِ عَلَى نَحْوِ التَّشْبِيهِ وَالْكُنَايَةِ، فِي حِينَ أَنَّ الْمَفْسُرِينَ الْمَعَاصِرِينَ فَسَّرُوا السَّمَاءَ بِالْغُلَافِ الْجَوِيِّ وَهُوَ سَقْفٌ حَقِيقِيٌّ لِلْأَرْضِ وَحَافِظٌ لَهَا مِنَ الشُّهُبِ وَالْغُبَارِ الْكَوْنِيِّ وَأَشْعَةِ الشَّمْسِ فَوْقَ الْبَنْفَسْجِيَّةِ الْحَارِقَةِ وَغَيْرِهَا.

6- اِخْتَلَفَ التَّفْسِيرُ الْعِلْمِيُّ لِطَبِيعَةِ الْبَرْقِ بَيْنَ الْمَفْسُرِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمَعَاصِرِينَ، فَالْأَوَّلُونَ يَرَوْنَ أَنَّ الْبَرْقَ وَالرَّعْدَ نَتِيجَةُ الْإِحتكَاكِ بَيْنَ الْهَوَاءِ وَالسَّحَابِ، كَإِحتكَاكِ الْحَدِيدِ بِالْحَجَرِ، فِي حِينَ أَنَّ الْمُتَأَخِّرِينَ أَفَادُوا مِنْ مَعْطِيَّاتِ الْعِلْمِ الْحَدِيثِ فِي بَيَانِ سَبَبِ الْبَرْقِ، الَّذِي أَثْبَتَ الْعِلْمُ بِأَنَّهُ يَحْدُثُ نَتِيجَةُ ظَاهِرَةِ التَّفْرِغِ الْكَهْرِبَائِيِّ بَيْنَ سَحَابَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ فِي الشَّحْنَةِ الْكَهْرِبَائِيَّةِ، أَوْ بَيْنَ السُّحُبِ الْمَوْجِبَةِ الشَّحْنَةَ مَعَ الْأَرْضِ عِنْدَاقْتِرَابِهَا وَالتِّي تَحْمِلُ عَادَةً الشَّحْنَةَ السَّالِبَةَ، فَتَتَوَلَّدُ تِلْكَ الشَّرَارَةُ الَّتِي نَسْمِيهَا الْبَرْقَ وَذَاكَ الصَّوْتُ الَّذِي نَسْمِيهِ الرَّعْدَ.

7- ذَكَرَ الْمَفْسُورُونَ الْمُتَقَدِّمُونَ فِي سَبَبِ ذِكْرِ الْبَنَانِ دُونَ غَيْرِهِ لِإِثْبَاتِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَسُوِّيَ بَنَانَهُ)؛ لِأَنَّ الْبَنَانَ (وَفُسَّرَ بِالْأَصَابِعِ أَوْ أَطْرَافِهَا) أَصْغَرَ الْعِظَامِ وَأَدْقَهَا، فَالَّذِي يَقْدِرُ عَلَى خَلْقِ هَذِهِ الْعِظَامِ الدَّقِيقَةِ وَالصَّغِيرَةِ لَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى خَلْقِ الْعِظَامِ الْكُبَارِ، وَلَكِنْ الْمَفْسُورُونَ الْمَعَاصِرُونَ تَنَبَّهُوا لِنَكَاتٍ جَدِيدَةٍ فِي سَبَبِ اخْتِيَارِ الْبَنَانِ دُونَ غَيْرِهِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِالِاسْتِفَادَةِ مِنْ مَعْطِيَّاتِ الْعِلْمِ الْحَدِيثِ، فَالْبَنَانُ يُوْدِي دَوْرًا كَبِيرًا فِي حَرَكَةِ الْإِنْسَانِ فِي الْبَسْطِ وَالْقَبْضِ وَالْكَتَابَةِ وَتَلَقُّفِ الْأَشْيَاءِ وَصِنَاعَةِ الْأَجْزَاءِ الدَّقِيقَةِ وَغَيْرِهَا، وَمُضَافًا لِذَلِكَ يَوْجَدُ فِي طَرَفِ الْأَصْبَعِ آيَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ آيَاتِ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى، أَلَا وَهِيَ الصُّورَةُ وَالْخُطُوطُ وَتَسْمَى حَالِيًا (بَصْمَةُ الْأَصَابِعِ) الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ نَقْشَهَا لِكُلِّ



فرد يختلف عن الآخر من بين آلاف الملايين من الناس، والذي يقدر على خلق وتسوية بصمة الأصابع هذه، لهو أقدر على إعادة خلق العظام الكبار.

المصادر

القرآن الكريم.

- [1] ابن عاشور، محمد طاهر. (1984م.). التحرير والتنوير. دار التونسية. تونس
- [2] أبو حيان الاندلسي، محمد بن يوسف. (2000م.). تحقيق: صدقي محمد جميل العطار. البحر المحيط. دار الفكر. بيروت-لبنان.
- [3] البقاعي، أبو الحسن إبراهيم بن عمر. (1984م.). تحقيق: د محمد عبدالمعيد خان. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ط1. دار الكتاب الاسلامي. القاهرة -مصر
- [4] التميمي البصري، عويسيان. (بلا.). موسوعة المفاهيم الاسلامية العامة. المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية. مصر.
- [5] التهاوني، محمد ابن القاضي محمد. (1996م.). تحقيق: د. علي دحروج. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. ط1، مكتبة ناشرون. بيروت- لبنان.
- [6] الخلواتي، اسماعيل حقي. (بلا.). روح البيان. دار الفكر. بيروت -لبنان.
- [7] الزمخشري، ابو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. (1987م.). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط3. دار الريان للتراث. القاهرة-مصر.
- [8] السبحاني، الشيخ جعفر. (1427هـ.). مفاهيم القرآن. ط3. مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام). قم -إيران.
- [9] السبحاني، الشيخ جعفر. (2016م.). منية الطالبين في تفسير القرآن المبين. ط1. مؤسسة الامام الصادق، قم المقدسة -إيران.
- [10] الطباطبائي، السيد محمد حسين. (1973م.). الميزان في تفسير القرآن. مؤسسة الاعلمي. بيروت-لبنان.
- [11] الطبرسي، الفضل بن الحسن الطبرسي. (1995م.). مجمع البيان في تفسير القرآن. ط1. مؤسسة الاعلمي، بيروت-لبنان.
- [12] الفخر الرازي، محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين. (1420هـ.). التفسير الكبير. دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت-لبنان.





- [13] القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر. (1964م). الجامع لأحكام القرآن. دار الكتب المصرية. القاهرة-مصر.
- [14] المراغي، أحمد بن مصطفى. (1946م). تفسير المراغي. ط1. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر.
- [15] مكارم الشيرازي، ناصر. (1421هـ). نفحات القرآن. ط2. مدرسة الامام علي بن اب طالب (ع). قم المقدسة -إيران.

